وحكى الكسائى أن قضاعة تقول مررت بَهْ والمالُ لِهْ وأنه فاش فى لغتها

ونحن نعلم أن بعض العرب قالوا مررتُ بأخواك وضربت أخواك ، وكل هذه وغيرها لغات كثيرة موثوق بها وردت عن العرب. والقرآن ورد على سبع لغات منها، فالطعن فى لغته أو لغة ضعف وقوف على لغات العرب وأقوال العلماء والشراح وهو أمر مفروغ منه

وقال ابن جنى: قلت مرة لأبي بكر أحمد بن على الرازى رحمه الله وقد أفضنا فى ذكر أبي على ونبل قدره ونباوة محله : أحسب أن أبا علىّ قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا . فأصغى أبو بكر إليه ولم يتبشع هذا القول

فاذا كان ابن جنى وهو الامام الجليل بين العلماء المتقدمين والمتأخرين يقول عن أستاذه أبي على الفارسى وما أدراك من هو ؟ إنه انتزع من علل العلم ثلث ما وقع لجميع العلماء إلى عهده وهو يخشى أن يكون قد اشتط فى هذا الحكم، فما عسى أن يبلغ علم هؤلاء الطاعنين فى لغة القرآن من علم أبي على الفارسى وابن جني وأمثالهما من المتقدمين وفلاسفة الاسلام وشراح القرآن ؟

هذا الكلام وأمثاله دار كثيراً بينى وبين الشيخ إبراهيم اليازجى ، وكل من نقل عنه وأذاع حرفا مخالفاً لما رويته من مذهبه أعلاه أعده كاذباً مختلقاً مفترياً يستوجب اللعنة من الله والناس

وفى الختام أكرر الشكر لحضرة الأستاذ العالم الأجل الذى استشهدنى فوفقنى لنفى الافتراء البحت، وأشكر لصاحب الرسالة الأديب الفاضل إفساحه صفحة منها لكلامى . لا برح خير معوان لنشر الفضائل ، ولا زالت رسالته لأفصح اللغات أم الرسائل

« حلب » قسطاكى الحمصى

أطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتابه
الإسلام الصحيح
من مكتبة الوزير، شارع الفلكى لباب اللوق
ومن المكتبات العربية المشهورة

ليلى المريضة في الزمالك

للدكتور زكى مبارك

صديقى ...

سألتنى أن أكتب كلمة عن ليلى المريضة فى الزمالك، فأثرتَ فى صدرى لوعة محرقة كنت أرجو أن تصير بفضل الكتمان والتناسى إلى الخمود

وماذا يهمني من أمر تلك الانسانة الظلوم ؟

إن الدنيا كلها سخفٌ فى سخف ، والحب كله بلاء فى بلاء ، فلتمض تلك الذكريات إلى جحيم النسيان والجحود

وقد تعلمت فى حياتي أشياء ، وكان أثمن ما تعلمت هو اليأس من وفاء القلوب

وأقسم بالله وبالحب ما خططت هذه العبارة إلا وأنا أتاوم طغيان المدامع ، فمن الحسرة واللوعة أن أنفضَ يدى من العواطف بعد أن جعلت الكتابة فى العواطف مذهباً أدبياً له أنصار وأشياع فى سائر الأقطار العربية

ولكن خيبتى فى الحب لها أسباب

وآه ثم آه ، من الاعتراف بالخيبة !

ليت ضلالى فى هواى كان دام حتى أخرج من دنياى وأنا موصول العطف على الملاح !

فان سألتَ عن أسباب الخيبة بينى وبين ليلى المريضة فى الزمالك فانى أحدثك بأن تلك الأسباب ترجع فى جملتها إلى سبب واحد هو العظمة الحقيقية التى فطر الله عليها قلبي

ومعاذ الأدب أن أكون من المفتونين أو المخدوعين ، فلى قلب ماعرف الناس مثل جوهره النفيس فى قديم أو حديث

هو قلب فطر على الحب والعطف والوفاء

وقد شاء هذا القلب أن يبسط حنانه على ليلى المريضة فى الزمالك .

فاذا صنعت تلك الحمقاء ؟

* * *

لا تسأل كيف كنا إلى خريف سنة ١٩٣٧

كنا عاشقين

وما أسعد العشاق !

كنا نعرف أطايب الخلوات على شواطىء النيل

وما أسعد من يستصبحون بظلام الليل على شواطىء النيل!

كان قلب ليلى أصغر من قلبي

ولكنها مع ذلك كانت تملأ قلبي ، وهو قلبٌ يرضى بالقليل في بعض الأحيان

وكنت أتلقى القليل من عطف ليلى بالحمد والثناء

والذوق كل الذوق أن تفرح بالقليل من الملاح

كانت ليلى تَعِد وتخلف ، وكنت أرى إخلافها من الدلال

وكنت أروضها بنفسي على الاخلاف ، لأني كنت أحب أن أخلق منها دُمْيَةً روحانيةً أعاقر في محياها كؤوس النبل والصفاء

وكان ما أردت وأراد الحب العذريُّ حيناً من الزمان

أردنا مرة أن نؤلف رواية ...

فهل ألفنا الرواية ؟

ليتنا ألفنا الرواية !

آه من ليلى ومن زماني !

* * *

ودامت دنيانا في قَبض وبَسط ، وبُؤس ونعيم ، إلى مساء اليوم الثامن عشر من الشهر التاسع سنة ١٩٣٧

في ذلك المساء تفضلتْ ليلى فدعتني إلى تناول العشاء لتمنحني القبلة الموعودة قبل رحيلي إلى العراق

وكانت لحظة من الحياة لن أنساها ما حييت ، وإن كدَّرتها ليلى بعد ذلك

أحبك يا ليلى ، أحبك لتلك اللحظة التي بللت نجوم السماء

أحبك يا ليلى وإن صيَّرتِ حياتي بؤساً في بؤس ، وشقاء في شقاء

أحبك يا صغيرة القلب ، ويا ضعيفة العقل ، ويا قليلة الوفاء

أحبك يا مثال الزنق والطيش والجنون

أحبك لتلك اللحظة القصيرة التي بددت أضواؤها ظلمات قلبي

* * *

وفي اليوم التالي رحلتُ إلى بغداد وأطياف الزمالك تؤنس روحي

ثم سمعتُ بلاءي في الزمالك أني تعرفت إلى ليلى المريضة في العراق

فماذا صنعت الحمقاء ؟

أرادت أن تنتقم مني ففتحت أبواب قصرها للواغلين من أدعياء الأدب والبيان

ولم تكتف بذلك ، بل أعلنت غضبها عليّ في رسائل نشرتها في مجلة الصباح

وأسرفت الشقية في الحمق فنشرت في مجلة المصور أخبار سهرة تناول فيها السامرون عندها أكواب الصهباء

وكانت الشقية تعلم أن ذلك سهمٌ سيصيب صدر حبيبها في العراق

ولكني تجلدت وتماسكت ، وكتبت إليها أعتب في رفق ولطف

فأجابت الحمقاء :

« هل كنت تنتظر أن أضع يدي على خدي إلى أن ترجع من بغداد ؟ »

خبر أسود !

خبر أسود !

خبر أسود !

كذلك متفتُ كما يهتف الفلاح المصري حين يتزعج ، وعبارات الفلاحين تسبق إلى لساني حين يثور غضبي

إن ليلى المريضة بالزمالك لا تريد أن تضع يدها على خدها حتى أرجع من بغداد ، وهي تعرف أني هاجرت إلى العراق لغرض نبيل هو توثيق علائق المودة بين مصر والعراق

وهل تفهم المرأة هذه المعاني ؟

آمنتُ بالله ، وكفرتُ بالحب !

* * *

أما بعد فقد انتهى ما بيني وبين ليلى المريضة في الزمالك ، وقد حرمتُ على نفسي رؤية الزمالك إلى أن أموت ، فحدثوني

يا رفاق عن أضواء الزمالك وأيام الزمالك وليالى الزمالك ، حدثونى كيف يغنى الكروان فى الزمالك . حدثونى كيف تكون أشجار الزمالك فى الليل . حدثونى كيف يثب النيل ليقبل أقدام الزمالك ؛ حدثونى كيف تصير عنى ليلاى بى الزمالك . حدثونى كيف تغيب الشمس عن الزمالك . وكيف يطلع القمر على الزمالك . وكيف تثور عواصف الحب والبغض فى الزمالك

حدثونى ، حدثونى ، حدثونى

انتهى حُلم الحب ، وانتهت أيام الزمالك ، وانقضت ليالى الزمالك

تلك الزمالك لم تكن إلا قطعة من وطنى ، ولو شئتُ لقلت إنها قطعة من كبدى

فى الزمالك تعلمت طب الأرواح والقلوب

وبالزمالك شقىَ روحى ومرض قلبى

فأين السبيل إلى الرجاء ؟ بل أين السبيل إلى اليأس ؟

أحبك يا غادة الزمالك ، أحبك ياغادرة ، وأعشق ضلالى فى هواك النبيل وهواك الأثيم

ليلاى ، ليلاى

ما زال روحى الظامئ يحوم على وِرْدك النمير ، تارحى الطائر الذى يرفرف حول حماك فى السَّحر والضحى والأصيل ، ويخفق بقلبه وجناحيه كلما دعاه الشوق إلى صهباء الرضاب

أنا مشتاق إلى الكوثر الممنوع الذى كانت قطراته تُسكر روحى وتعقر فؤادى

أنا مشتاقٌ إلى النار التى كوتْ كبدى ، فتى أواجه تلك النار العَسُوف ؟

سأقبِّل قدميك حين أراك ياشقية ، ولكن متى أراك ؟ متى أراك ؟

أفى الحق أننا نخاصمنا إلى آخر الزمان ؟

أفى الحق أن عربدة الهوى لن تعود ؟

لقد شمت فينا الشامتون ، فتى يندحر الشامتون ؟

إننى واثق بطهارة قلبك ياشقية ، ولولا ذلك لأصليتك نار العقوق .

فحدثينى متى ترجعين إلىّ ؟ متى ترجعين ؟ متى ترجعين ؟

* * *

ليلى ، ليلاى التى خرجت من حماها كما خرج آدم من الفردوس ، ليلاى أجيبى

مضت أعوام وأنا أتلقى منك تحية رمضان ، فأين تحية رمضان ؟

إن الناس يذكرون موتاهم فى هذه الأيام يامعبودتى ، وأنا قتيل الهوى ، فمن يذكرنى إذ اصدقت عنى ؟

لا تؤاخذينى بما جنيته فى حب ليلى المريضة فى العراق ، فما كانت ليلاى هناك إلا صورة من صور الطهر والنبل والعفاف

أحب ليلاى فى العراق ، وإن تأذيت بذلك فاصنعى ما تشائين

* * *

أيتها الحمقاء فى الزمالك

لاأحب أن أراك إلا يوم تعرفين أنى صاحب الفضل على جميع الملاح ، فلولا قلبى ولولا بيانى لصارت الصبابة ألعوبة من الألاعيب

أنا أنتظر الجزاء الحق على وفائى وإخلاصى

أنتظر أن تكون دنيا الصباحة والملاحة طوع يدى

فان لم تفعلى — وستفعلين — فودعى دنيا الرقى والحنان

ليلى ، ليلاى

إلى صدرى ياعروس الزمالك

إلى صدرى ياجارة النيل

إلى صدرى العاشق الوفى الأمين

زكى مبارك

ظهر حديثا كتاب

سياسة الغد

برنامج سياسى واقتصادى واجتماعى

تأليف

مرقص بك بطرس غالى

يطلب بالجملة من إدارة الرسالة ويباع فى جميع المكاتب

الثمن ١٠ قروش بخلاف أجرة البريد